شرخ في جدار الزمن

للمولف محمد سيد عبد القادر

****

القصة

١ - نوال خالد :

الفتاة التى تملك كل شئ نجمة المجتمعات - وعروس دنيا الاقتصاد - تشرف على إدارة أعمالها وأملاكها الشاسعة فى ذكاء ومرونة واقتدار لأن والدها علمها كل شئ وعودها على توجيه الناس والأعمال وزرع فيها روح التجارة والصناعة والأقتصاد .

توفى والدها بعد تخرجها من الجامعة مباشرة فوضعت يديها الجميلتين فوق كل شئ واستمرت تدير أعمال والده وكأنه على قيد الحياة

وهى مطمع الكثيرين من الراغبين فى الزواج ولكنها لا تهتم بالحب ولا بالزواج وتشعر بأن الجميع يسعون خلف ثروتها .

يساعد نوال فى إدارة أعمالها أحمد نزيه الذى عمل مع والدها عشرة أعوام من قبل حتى فقه العمل كله . تزوج وماتت زوجته . وهو يطوى قلبه على حب صامت لنوال التى عاصر نموها ونضجها يوما بعد يوم حتى صارت شابة حسناء .

٢ - تبدأ القصة بزيارة مريم راضى لصديقتها نوال . أن مريم لم تطلب من قبل خدمة أو مكرمة من صديقتها الثرية . إنها ترفض دائما أى مساعدة .

ولكنها جاءت هذه المرة تطلب خدمة . ليس لنفسها وإنما لخطيبها الشاب نبيل مسعود . إنه مهندس يعمل فى وزارة الأشغال العامة ولكن مريم ترى أن مواهبه أكبر من

هذه الوظيفة الحكومية . إنه عبقرى .. إنه يستطيع أن يحقق أشياء عظيمة إذا عمل فى مجال أكثر رحابة ومرونة .

إن مريم مفتونة بخطيبها نبيل . تحبه . إنه كل ما تريد من الحياة وهى واثقة أنه ملاك من السماء . ملاك عبقرى قادر على أن يحيل التراب ذهبا يجب أن تجد له نوال عملا فى ممتلكاتها .. يجب .. يجب .. يجب . إنه سوف يخدم نوال بكل اخلاص ويحقق لها المعجزات وفى نفس الوقت سوف يستطيع أن يدخر مبلغا من المال يمكنه من بناء عش الزوجية السعيد له ولمريم .

٣ - تضحك نوال لحماس صديقتها الشديد من أجل خطيبها وتوافق على أن تعهد له بالعمل فى مشروع بناء المساكن الجديدة التى تشرف عليها نوال .

ويحضر نبيل مسعود لمقابلة نوال خالد لأول مرة ..

وترى نوال شابا تفوق أوصافه كل الأوصاف التى خلعتها عليه مريم . ثرى شابا يجمع فى كيانه بين ملامح الشباب والرجولة والطفولة فى آن واحد . فيه من الشباب حيويته وتفجره وفيه من الرجولة فحولتها وفيه من الطفولة براءتها . قوى الجسم فى غير امتلاء . طويل عريض ضاحك العينين باسم الثغر ثائر الشعر جرئ وخجول فى وقت واحد .

ويخفق قلب نوال خالد لأول مرة فى حياتها ..

هكذا يجب أن يبدو الرجال . ولكن نوال تقاوم مشاعرها الغادرة بحزم شديد لأن نبيل هو خطيب صديقتها المخلصة مريم .

٤ - تتعاقد نوال مع نبيل ويبدأ العمل فى اخلاص وحماس .. ويتقابل الاثنان كل يوم بخصوص مشروع المساكن وتكتشف نوال مع الوقت أن نبيل (لا) يحب مريم كما تحبه مريم . إنها تحبه فى جنون أما هو فيحبها فى هدوء وتعقل ثم تكتشف أيضا أن نبيل قد تعلق بها هى . تشعر بذلك فى نظراته . فى عينيه فى كلماته وتملؤها هذه المشاعر سعادة وغبطة .

وتسير العلاقة بين الأثنين إلى النتيجة التى لا مفرمنها .

يقع نبيل فى حب نوال وتقع نوال فى حبه ويجد الاثنان أن كلا منهما لا يستطيع أن يحيا بدون الآخر .

لقد كان نبيل يحب مريم قبل أن يعرف نوال . كان يحب القمر قبل أن تظهر الشمس فلما ظهرت له الشمس كسف ضوءها كل ضوء عداه ..

ما العمل ؟

٥ - انه حب قوى جارف ولكنه يعنى القضاء على سعادة مريم ..

نوال تتألم من أجل مريم ..

نبيل يشعر بالحرج من ارتباطه السابق بمريم ولكنه واثق أنه لن يكون سعيد معها لأنه يحب نوال ..

لابد اذن مما ليس منه بد ..

لا بد من مواجهة مريم قبل الشروع فى اي خطوبة ايجاية نحوتحقيق ارتباطه الدائم بنوال .

وإذا كانت الحقيقة مؤلمة وقاسية فهى أخف ألماً من حياة طويلة مليئة بالشفقة والخداع والنفاق .

يصارح نبيل خطيبته السابقة مريم بالحقيقة ويعتذر لها فى اخلاص ويعلن لها أنه سوف يحترمها مدى الحياة ..

ولكن مريم تنظر إليه وتضحك . .

تضحك فى برود عجيب ثم تقول له بلهجة سامة : اذن فقد سرقتك منى نوال . لم يكفيها أنها تملك كل شئ فسرقتك أيضا . لقد أحببتك بجماع روحى . أنت حياتى كلها وما دامت نوال قد سرقتك منى فسوف أقتلها وأقتلك . لن تبنيا سعادتكما على أشلاء تعاستى .

٦ - بهذا الكلام القاسى الغريب تنتهى العلاقة بين مريم من ناحية وبين نبيل و نوال من ناحية أخرى . ويتصور الاثنان أن ذلك التهديد تهديد صادر بتأثير انفعال مؤقت فلا يقيمان له وزنا .

تتم الخطوبة السعيدة وتعلنها الجرائد كلها (خطوبة الفتاة التى تملك كل شيئ !!!) ثم يتم الزواج فى حفل كبير فى اكبر فنادق الكويت .

ووسط أضواء الحفل والموسيقى والضحك والصخب يلمح العروسان فتاة جالسة فى هدوء وبرود .. إنها مريم .. وهى لا تفعل شيئاً .. لا تتكلم .. لا تضحك لا تبكى .. إنها .. تنظر إليهما فقط ..

إنها مفاجأة مزعجة ولكن سرعان ما يتبدد أثرها وسط هالات الأعجاب والحب والتقدير المحيطة بالعروسين السعيدين .

وفى اليوم التالى يسافران لقضاء شهر العسل ..

٧ - أين ؟

فى فندق اللؤلؤة .. ذلك الفندق الجميل الصغير القابع كلؤلؤة ضخمة فى جزيرة فليكا . تلك الجزيرة المنعزلة ذات التاريخ العريق والطبيعه الساحرة وآثار الأجداد الأقدمين .

أن الفندق مشهور أنه فندق شهر العسل .. وصاحبه غالب نصر الدين رجل قصير ضئيل الحجم ولكنه ذكى وشعلة نشاط .. أنه يخلع على شئ سحراً غريباً بكلامه وحماسه وتشاركه فى خدمة الزائرين زوجته نادرة ووراءها مجموعة مخلصة من الخدم والطباخين .

وفى الفندق يعيش سليم الصافى وهو رجل عجوز فيلسوف وهو صاحب المنزل الذى صار فندق وهو يعيش فى الفندق بصفة دائمة وغالب نصر الدين يتمسك ببقائه لأنه يخلع مسحة (سياحية) على الفندق يبدو بين الناس وكأنه صفحة بين صفحات الماضى . هو نفسه يعيش فى الماضى . ماضى الجزيرة . ماضى صيد اللآلئ والكفاح ضد الطبيعة لاستخراج أثمن ما فيها . ولكنه محدث لبق وانسان ودود .

وتعيش أيضا الرسامة سهام وهى فتاة جريئة لا تراعى مشاعر أحد ولا يهمها فى الوجود إلا ألوانها ولوحاتها .

بالإضافة إلى مجموعة من السياح الأجانب وإلى عروسين أخرين .

إلى هذا الفندق يصل نبيل ونوال ووصيفتها شيخة .

ويكون وصول العروسين الجديدين في موكب ضخم من السيارات المحملة بالحقائب ويملاء الفضول كل نزلاء الفندق لرؤية العروس الجديدة الشهيرة التى تملك كل شئ (!) رؤية الشاب الذى نجح فى أن يحصل على حبها .

وبعد فوضى اللقاء الأول تقف نوال ونبيل فى جناحهما بالدور الثانى وهما ينظران من الشرفة إلى صخور الشاطئ وإلى أمواج الخليج وإلى السماء الزرقاء .. ثم يتنهدان فى سعادة وغبطة .. فى هذا المكان النائى عن كل شيئ سوف يجدان السعادة أياما رائعة .

وفى المساء يهبطان إلى صالون الفندق ويجلسان لتناول القهوة فيريا فتاة جالسة بمفردها إلى مائدة تشرب فنجانا من القهوة إنها مريم .. رباه لقد تبعتهما إلى الفندق .. تبعتهما فى شهر العسل .. هى تجلس فى هدوء وبرود .. إنها حتى لا تنظر إليهما .

وتتحول سعادة العروسين إلى مرارة واسيتاء .. ماذا تريد مريم ؟ ماذا تعنى بمطاردتها لهما ؟ ماذا تأمل من وراء ذلك ؟

٨ - هكذا يبدأ شهر العسل .. بداية ملئية بالتوتر والقلق .. العروسان فى جناحهما بالدور الثانى ومريم فى حجرتها بالدور الأول .. إن وجودهما فى الفندق يحيل حياتهما إلى جحيم .. إنهما لا يستطيعان إلا أن يفكرا فيها .. ويفكرا أيضا فى نزالهما نحوها .. ولكن هل هى نزالة ؟

لقدأحب كلاهما الآخر حب شريف .. لقد صارحها نبيل بالحقيقة ماذا تريد مريم ؟ إن مريم (موجودة) هذا كل من فى الأمر - إنها مثل وخز الضمير - لا راحة منها قط وهى تتبعهما إلى أى مكان يسيران إليه - إلى متحف الجزيرة .. وفوق شواطئها فى كل مكان يذهبان إليه تكون قد سبقتهما إليه .. كيف تعرف بتحركاتهما مقدما كأنها تعلن الغيب .. وهى لا تفعل شيئاً .. لا تعترض سيرهما ولا تحتك بهما ولا أى شيئ - إنها (توجه) فقط .

وتؤثر هذه المطاردة البشعة على أعصاب نوال .. لا .. ليس هكذا تصورت شهر العسل -- أما نبيل الذى يعبد أقدام نوال فإنه لا يدرى ماذا يفعل .. إنه يحميها من

الوجود كله ولكنه لا يدرى كيف يرد (هجوم) مريم .. لأن مريم لا تهاجم .. لا تتكلم .. لا شيئ ..

هل يخطران الشرطة ويطلبان حمايتها ؟

ولكن من ماذا ؟

ما هى التهمة التى يوجهانها إلى مريم ؟

ثم هل يقبل نبيل على نفسه أن يطلب من الشرطة أن تحميه من خطيبة سابقة هذا شيئ تأباه رجولته ..

٩ - ثم يدرك كل نزلاء الفندق بهذه الدراما الغريبة التى تحدث أمامهم ويتحدث سليم الصافى إلى مريم ناصحا لها بأن تكف عن هذه المطاردة الغريبة ولكنها ترفض . ثم تصارحه (إن نبيل هو حياتى . إننى أحوم حوله فى كل مكان لأنه حياتى حتى ولو كان قد تزوج من أخرى . إننى سوف أقضى عليهما طبعا لقد اشتريته من أول يوم وعزمت على القضاء عليهما فى ذلك اليوم ثم فكرت بعد ذلك أن القضاء عليهما بسرعة لا يشفى غليلى . إنى أريدهما أن يموتا ببطء . إن ظهورى أمامهما فى كل مكان هو موت بطئ لهما . وهذا شيئ يسعدنى بدون حدود . وفى اللحظة التى أشعر فيها بأنى أكتفيت من تعذيبهما سوف أطلق عليهما الرصاص)

وتملؤ القصة الفندق كله والجزيرة كلها بالتوتر والرهبة ويفزع غالب من هذه المأساة التى تنمو فى فندقه ولكنه لا يستطيع أن يطلب من مريم أن تغادر الفندق لأنها مواطنة حرة من حقها أن تقيم فى أى مكان مادامت تسدد التزاماتها ولا يستطيع أن يلجأ إلى الشرطة لأن الشرطة تهتم بالجرائم التى (حدثت) لا الجرائم التى (سوف تحدث)

ثم يحدث غالب نفسه أن هذه الفتاة السمراء لا تعنى حقا ما تقول إن الذى يقتل يقتل . ولا يعلن على الناس جميعا أنه سوف يقتل . لا . إنها فتاة مسكينه مظلومة فقدت خطيبها وتهديداتها ما هى إلا تعويض عن آلامها . تهديدات فقط .

وتفكر نوال ونبيل فى إنهاء شهر العسل والعودة إلى الكويت ثم يعدلان عن هذه الفكرة على الفور . إن ذلك اعتراف صريح أن مريم على حق . وهو انتصار لها . وفضلا

عن ذلك فإنها سوف تتبعهما إلى الكويت طبعا .

لا . هذه المأساة المضحكة يجب أن تنتهى هنا . فى جزيرة فليكا .

هكذا يبقيان لمواجهة المصير فى جزيرة المصير .

وتمر الأيام دون أى تغيير .

ويتعرف نبيل ونوال إلى العروسين الآخرين وهما أحمد وفاطمة وهما شخصان وديعان ويتشارك الأربعة فى رحلات بديعة إلى أماكن الآثار وكل أماكن الجزيرة .. وفى الخلف تسير مريم فى هدوء وصمود .

١٠ - ثم يأتى يوم المصير .

كان قد انتهى من شهر العسل أسبوعان . وفى هذا اليوم يصل إلى الفندق أحمد نزيه وكيل أعمال نوال ومعه أوراق عاجلة تستدعى البحث والتوقيع ولا يتدخل نبيل بين زوجته وبين وكيل أعمالها ولكنه يجلس مصاحبا لهما فى صبر حتى ينتهى بحث الأوراق فى وقت متأخر من الليل ثم يأوى أحمد نزيه إلى الحجرة التى أعدت له لشعوره بالتعب . واما نوال ونبيل فإنهما يصعدان إلى حديقة السطح ليتسامرا قليلا مع أحمد وفاطمة ويجلس الأربعة يشربون المرطبات ويتحدثون ويضحكون .. وإلى مائدة بعيدة تجلس مريم صامته وكأنها تمثال وهى تحتس فناجين القهوة تباعا فى همسة وهدوء وفى(الحياة عشرة) ترغب نوال فى أن تعود إلى أسفل لتنام لأنها تشعر بنوم قهار فتهبط بمفردها ويعدها نبيل أن يلحق بها بعد قليل .

تخرج نوال ويبقى فوق السطح نبيل وأحمد وفاطمة .. وعلى البعد مريم .

كان نبيل يريد أن يتحدث إلى مريم .. يريد أن يجعلها تشعر مدى سخف تصرفاتها يريدها أن تحتفظ بكرامتها وأن تعود إلى الكويت ..

ولكن قبل أن يفتح فمه بالحديث تحدثت مريم . قالت له : هل وجدت السعادة التى كنت تبحث عنها مع الفتاة التى تملك كل شئ . اللصة السارقة التى لم تقنع بكل شئ فطمعت فى الشئ (الوحيد) الذى أملكه وسرقته ؟

يتوتر الموقف ويعجز نبيل عن التأثير على مريم وتفشل أيضا محاولات أحمد وفاطمة فى

تهدئة ثائرة مريم .

وفجأة تفتح مريم حقيبتها وتخرج منها مسدساً وتصيح بهذا المسدس سوف أقتلك أولاً وزوجتك ثانياً ..

وقبل أن يشعر أحد بماحدث كانت مريم قد أطلقت النار على نبيل يصرخ نبيل ألما ويسقط على الأرض ..

أما مريم فإنها ترتاع لهول ما فعلته وتصرخ فى الم شديد : أوه .. لقد قتلتك يا نبيل قتلتك يا حبيبى . ليتنى مت بدلك .. ليتنى مت بدلك -. سوف أقتل نفسى سوف أنتحر ثم تلقى بالمسدس فى نفور واشمئزاز فيسقط بعيدا عنها تحت أحد المقاعد .

ولكن نبيل لم يكن قد مات .. كانت الرصاصة قد أصابته فى ساقة ويراه أحمد وفاطمة وهو يضع منديلا مخضب باللون الأحمر على ساقه ..

أما مريم فهى تصرخ فى هستيريه : سوف أنتحر .. سوف ألقى بنفسى فى الخليج .. ويصيح نبيل فى أحمد وفاطمة : أرجوكما .. أنا المخطئ .. أنا الملوم على كل شيئ .. لا يجب أن تعرف زوجتى شيئاً حتى لا تضطرب يجب أن يهتم أحد بمريم المسكينة .. يجب أن تمنعاها من الانتحار .. خذاها إلى نادرة زوجة غالب .. بسرعة لا تفارقاها لحظة واحدة .هكذا يسرع أحمد وفاطمة بجر مريم إلى خارج السطح وهى تقاوم فى عصبية وتحاول القاء نفسها فى الخليج ولكنها يصلا بها إلى حجرة غالب فى الدور الأول وهناك يعهدان بها إلى نادرة وتبقى معها فاطمة أيضا حتي لا تتغلب على نادرة وتؤذى نفسها .

أما أحمد وغالب فإنهما يسرعان إلى السطح ليجدا نبيل ممداً فوق الأرض كما كان حيث سقط وهو يتألم والدماء تغطى ساقه كلها .

يساعداه على القيام ولكنه يرفض أن يعود إلى حجرته حتى لا تستقيظ زوجته وتراه فى هذا الحال فيعرض عليه أحمد أن يشاركه حجرته لحين حضور الطبيب لأنه يعرف أن زوجته فاطمة سوف تقضى الليل مع مريم ونادرة وبعد ساعة يحضر الطبيب فيعطى مريم حقنه مهدئه تجعلها تستغرق سبات عميق ثم يشرع فى اجراء عملية لاستخراج

الرصاصة من ساق نبيل . ويستخرجها فعلا فى حجرة أحمد ثم ينظف الجرح ويطلب من نبيل أن لا يتحرك من الفراش .

وتنتهى الليلة المأساوية ويأتى الصباح

١١ - وفى الصباح يفاجأ الجميع مفاجأة جديدة مذهله

تدخل الوصيفة شيخة حجرة سيدتها نوال لتوقظها فتجدها ميته .. قتيلة .. رصاصة فى رأسها قتلتها على الفور ..

من الذى قتلها ؟ وبأي مسدس ؟

ويتذكر الجميع مسدس مريم الذى ضربت به نبيل : لقد ألقت فوق الأرض وسقط تحت أحد المقاعد أمام نبيل وأحمد وفاطمة .

ويأتى المحقق ورجال الشرطة يبحثون عن المسدس ولكنهم لا يجدونه إنه إذن المسدس الذى قتلت به نوال ويثبت الطيب أن نوال قد قتلت فيما بين الحادية عشرة والثانية عشرة مساء

ولكن هل مريم هى القاتلة ؟

ذلك مستحيل عمليا . لقد كانت تجلس فى السطح أمام أحمد وفاطمة ونبيل عندما خرجت نوال . خرجت على قيد الحياة . وبعد ذلك لازمتها نادرة وفاطمة نفس الحجرة حتى الصباح .

من الذى قتل نوال

١٢ - ويبدأ المحقق عمله :

إن المشتبه فيها الأولى هى مريم ولكنها ليست القاتلة بشهادة الشهود . هى برئية إذن من القاتل : لا بد أنه شخص كان يعرف بتهديد مريم لنوال ونبيل ثم إنتهز فرصة وجود المسدس تحت المقعد بعد خروج الجميع من السطح وسرقه وتنهى به نوال لماذا ؟

ومن هو ؟

وأين المسدس؟

ويستجوب المحقق الجميع . .

يستجوب مريم ويستجوب نبيل ويستجوب شيخه . . ويستجوب أحمد وفاطمة وأحمد نزيه وسهام وسليم الصافى وغالب ونادره والخدم والطباخين .

ثم تنكشف للمحقق بعض الحقائق . .

ان الطباخ جاسم كان يحقد على نوال لأنه كان يعمل فى أحد مصانع والدها ثم طرده والدها لإتهامه بالسرقة .

ويكتشف أن سهام كانت تحقد على نوال لأن والد سهام كان تاجرا ناجحا يوما ما ثم نجح خالد والد نوال فى تحطيم والد سهام وتحطيم تجارته وإفلاسه . .

ويكتشف أيضا أن أحمد نزيه كا يحب نوال وكان يأمل فى الزواج منها الصورة إذن ليست واضحة تماما الفتاة التى (كانت) تملك كل شيئ .. لم تكن تملك كل شيئ - لم تكن تملك حب الآخرين . كان خلفها ظل طويل كئيب من الحقد والكره .. ولكن من هو القاتل .

هل هو الطباخ جاسم ؟

هل هى سهام ؟

هل هو أحمد نزيه العاشق المهجور

١٣ - وفى نفس الوقت وكانت هناك دراما أخرى تتكون . كانت مريم قد تحولت من فتاة ملئية بالقسوة والحقد إلى فتاه شاجه ضعيفه خائفه وكان نبيل وهو يلازم الفراش يعطف عليها ويتحدث عنها بكل خير لقد زالت الشمس من الوجود فعاد ضوء القمر يملؤ الأفق

ويطلب نبيل من المحقق أن يستدعى له مريم . إنه يريد أن يخبرها بأنه قد سامحها ويستدعيها المحقق فتدخل فى خجل واضطراب ولكن نبيل يلقاها فى بشاشة ووداعة .. ثم يتركهما المحقق دقائق بمفردهما ..وبعد ذلك تخرج مريم والدموع تلمع على خديها وبعد ذلك تحدث المفاجأة الجديدة ..

تدخل احدى الخادمات حجرة الوصيفة شيخة فتجدها قتيلة . مطعونة بخنجر فى ظهرها .

١٤ - من الذى قتل شيخة ؟

لا بد أن قاتل شيخة هو قاتل نوال

لماذا ؟

لا شك أنها كانت تعرف شيئا وخشى القاتل أن تبوح بشئ فطعنها بالخنجر وقتلها

ما الذى كانت تعرفه شيخة ؟ هل رأت القاتل وهو يدخل حجرة سيدتها بالليل ؟

ويعصر المحقق فكره . يحاول أن يتذكر شهادة شيخة .. نعم .. كانت تقول كلاما غريبا ملتويا .. غراه عند ذلك إلى جهلها واضطراها .

ولكن ذلك لم يكن جهلاً واضطرابا - كان كلاما ذا مغزى ..

كانت تحاول توصيل كلامها إلى أحد إلى القاتل .. كانت تحاول أن (تستفيد) من المعلومات التى تعرفها .. كانت تحاول أن تبيع سكوتها .. كانت تلعب بالنار فأحرقتها النار ..

ولكن كيف سمعها القاتل ؟

لقد كان المحقق يستجوبها فى الحجرة التى يرقد فيها نبيل ..

وعند ذلك تسطع الحقيقة كاملة أمام المحقق ..

ما دامت شيخة كنت تعرف القاتل فلابد أنها كانت تستطيع (الكلام)معه فى أى لحظة فلماذا اختارت مثولها أمام المحقق لتوصيل كلامها إلى القاتل ؟

لأن هذه هى الفرصة الوحيدة التى استطاعت فيها أن تواجه القاتل ..

أن تواجه نبيل ..

نبيل هو القاتل ..

نبيل هو قاتل نوال

وشريكته هى مريم

أنها خطة شيطانية دبرتها مريم

مريم الفتاة الذكية الفقيرة الذكية التى لا تملك شيئا ..أرادت أن تحصل على (كل شيئ) كانت تملكه نوال فدبرت هذه الخطة . اتفقت مع نبيل على أن يعمل مع نوال وعلى أن يستميل قلبها إليه وعلى أن يتزوجها ثم يقتلها ويرث كل أملاكها ثم يتزوج من مريم ويعيش الاثنان فى ثراء .